الملامح الأساسية المحددة لمفهوم الدافعية

د .أسماء خويلد
جامعة الجلفة

الملخص باللغة العربية :

أوضح كل من " وينبرجر و ماكليلاند " من خلال استعراضهما للتوجهات النظرية المختلفة في مجال الدافعية ، أن هناك منحيين رئيسيين في التعامل مع مفهوم الدافعية :

المنحى الأول هو المنحى المستمد من نظرية كل من ماكليلاند و أتكنسون و يرى أصحاب هذا التوجه أن الدافعية تقوم على أساس وجداني ، أما المنحى الثاني فيتمثل في النماذج المعرفية للدافعية ، و التي تقوم على أساس مخطط الذات ، و ينظر أصحابه إلى الدافعية باعتبارها ظاهرة معرفية.

Summary

"Weinberger and McClelland," explained through their review of various theoretical approaches in the field of motivation, there are two areas key in dealing with the concept of motivation:

The first trend is oriented derived from the theory of each of McClelland and Atkinson and the owners of this approach believe that motivation is based on the sentimental. The second trend is to the cognitive models of motivation, which is based on self-scheme, and his companions perceived motivation as a cognitive phenomenon.

تمهيد :

إن كلمة دافعية "Motivation " لها جذورها في الكلمة اللاتينية " Movere" التي تعني يدفع أو يحرك " To move " في علم النفس ، حيث تشتمل دراسة الدافعية على محاولة تحديد الأسباب أو العوامل المحددة للفعل أو السلوك (عبد اللطيف خليفة ، 2000، ص68)

عند تفحصنا للأبحاث التي تناولت مفهوم الدافعية نجد أن هناك العديد من التعريفات التي قدمها الباحثون لهذا المفهوم ، فقد أحصى كلنجينا و كلنجينا A.M.Kleinginna & P.R.Kleingenna ثمانية و تسعين تعريفا للدافعية (عبد اللطيف خليفة ، 2000، ص68)

و قد أوضح محي الدين حسين أن تعدد تعريفات الدافعية اختلافها يرجع إلى اعتبارات عديدة أهمها :

– اختلاف طريقة التعامل مع هذا المفهوم ، فهناك من الباحثين من يركز على محدداته في حين يركز البعض الآخر على النتائج المترتبة عنه

– تضمين هذا المفهوم لمفاهيم أخرى متعلقة به ، و تعامل بعض الباحثين مع هذه المفاهيم على أنها ذات معنى واحد ، فيما يؤكد باحثون آخرون على اختلافها في المعنى.

و من أمثلة هذه المفاهيم : الحاجة ، الحافز، الباعث، التوتر و الاستثارة ...الخ

– تركيز المنظرين على مظاهر بعينها من هذا المفهوم دون غيرها ، فهناك من يركز على بعض المظاهر مثل : التوتر العضلي أو معدل النبض و التنفس، بوصفها مظاهر لعملية الاستثارة عند الفرد .

و هناك من يركز على كيفية تعامل الفرد مع الأهداف المنوط بها إشباع حاجاته الملحة ، و يعود هذا لاختلاف التوجهات النظرية لهؤلاء الباحثين(محي الدين حسين ،1988،ص 06).

و قد أوضح كل من " وينبرجر و ماكليلاند " من خلال استعراضهما للتوجهات النظرية المختلفة في مجال الدافعية ، أن هناك منحيين رئيسيين في التعامل مع مفهوم الدافعية :

المنحى الأول :

هو المنحى المستمد من نظرية كل من ماكليلاند و أتكنسون ، و يرى أصحاب هذا التوجه أن الدافعية تقوم على أساس وجداني ، وأن لكل دافع حالة وجدانية خاصة به ، و افترضوا أن للدوافع آثار بعيدة المدى على السلوك ، و أن تأثيرها تزايد بالنسبة السلوك غير المقيد مقارنة بالسلوك المقيد (عبد اللطيف خليفة ،2000 ،ص 72)

و هذا معناه أن المشاعر التي نضفيها على أي موقف أو سلوك هي التي تشكل مصدرا لقوة ذلك السلوك . و لكن شعورنا بالحرية في اختيار موقف دون آخر هو الذي يجعل من مشاعرنا فعالة أكثر من الناحية العملية .

المنحى الثاني :

يتمثل في النماذج المعرفية للدافعية ، و التي تقوم على أساس مخطط الذات ، و ينظر أصحابه إلى الدافعية باعتبارها ظاهرة معرفية، و يدخل في هذا الإطار نموذج كارفر و شير Carver & Scheier .

و طبقا لهذا النموذج فإن الذات هي أكثر الجوانب أهمية في تشغيل و معالجة المعلومات كما أنه يمكن تقويم و تنشيط مخطط الذات نظرا لأهمية في التأثير على السلوك .

وهذا معناه أهمية الانفعالات في صياغة استجاباتنا تجاه الأحداث، هذا التأثير هو الذي يحفز على القيام بسلوك دون غيره . في توجه آخر ، و لكن بالتركيز دائما على الذات ، يؤكد كل من ماركوس و كانتور و آخرون Markus,Cantor & al على أهمية الذات في تفاعلها مع البيئة أكثر من معالجة المعلومات ، و طبقا لهذا النموذج فإن الدافعية تظهر بشكل واضح في فهم الفرد لنفسه (عبد اللطيف خليفة ،2000 ،ص 72)

هذا معناه أن تأثير البيئة فينا يمر أولا على " الذات " بكل مكوناتها و يخضع لعملية معالجة و تحليل و من ثم فإن الموقف الذي نتخذه يكون نتيجة منطقية لنوعية أداء الذات و أسلوب معالجتها للأحداث المحيطة .

على الرغم من الاختلاف بين المنحيين السابقين ، إلا أنه يمكن القول بوجود عدد من الملامح التي يتسم بها أي تعريف يقدم للدافعية ، يمكن أن نجملها فيما يلي :

1 - للدافعية وظيفة تنشيطية فهي تعمل على تعبئة الطاقة لدى الفرد و تحفزه نحو الهدف إلى أن يشبع حاجته و يحق هدفه (عبد اللطيف خليفة ،2000 ،ص 75) و لكن زيادة الدافعية فوق حد أمثل يعوق الأداء أكثر مما ييسره ، ذلك أن درجة الاضطراب و القلق تزداد مع زيادتها . كما أن نقص الدافعية قد يؤدي إلى الرتابة و الملل(محي الدين توق و آخرون،2002 ،ص233).

وعليه فإن المستوى المتوسط من الدافعية أو الاستثارة الانفعالية ، هو أفضل المستويات التي يكون الفرد خلالها على درجة ملائمة من اليقظة و التنبه للقيام بأعماله و نشاطاته، و من الأمثلة التي يمكن أن نوردها في هذا الإطار نجد أن نسبة لا بأس بها من التلاميذ الذين يمكن وصفهم بأنهم متوسطو التحصيل الدراسي تحظى بالنجاح في الامتحانات الرسمية .

و يمكن تفسير هذه الملاحظة " وفق هذا التوجه النظري " بأن التلاميذ متوسطي التحصيل الدراسي يكونون أيضا معتدلين في مستويات الدافعية و بالتالي القلق تجاه الامتحانات الرسمية مما يجعلهم " من الناحية النفسية " في وضعية أفضل من أولئك المتفوقين دراسيا " الذين تسيطر عليهم حالة القلق " للتعامل مع تحدي الامتحان المصيري .

ولكن هذه النتيجة أيضا لا يمكن تعميمها ، فقد تبين من خلال عدد من الأبحاث العلاقة القوية الموجبة بين الدرجة العالية للدافعية و مستوى الأداء الإبداعي المتميز(محي الدين حسين ،1977 ،ص 11)

2 – للدافعية وظيفة توجيهية فقد أوضح ميلر و آخرون Miller & al في نظرية السلوك الموجه نحو الهدف، أن الفرد يقوم بالمقارنة بين البيئة و الهدف و من ثم معالجة البيئة ، من أجل التقليل من التفاوت بينها و بين الهدف ، ثم يختبر مرة أخرى التفاوت بينها ، ثم يسعى بعد ذلك و يجاهد لتحقيق الهدف (محي الدين توق و آخرون،2002 ،ص233).

فالدافعية توجه سلوك الفرد إلى أهداف بعينها و العمل على تحقيق هذه الأهداف ، و خير مثال يوضح لنا كيف أن الدوافع توجه السلوك ، تلك الظاهرة المعروفة ب : " الانتباه الانتقائي " ، فقد درس لاذاروس و آخرون (1953) هذه الظاهرة ، و توصلوا إلى نتائج تقرر " أن الأشخاص في حالة الجوع الشديد يتعرفون على صور الطعام و مثيراته أسرع ما يتعرفون على صور الأشياء و الموضوعات الأخرى " (إبراهيم قشقوش و طلعت منصور،1979 ،ص10)

بمعنى أن دوافعنا توجه انتباهنا إلى أمور محددة في البيئة المحيطة و تصرفنا على أمور أخرى ، إنها توجه نشاطنا نحو تحقيق الأهداف .

بمعنى آخر : إننا نستطيع التحكم في انتباه من حولنا بالتحكم في مستوى دافعيتهم ..... بأساليب متعددة حسب الأشخاص و لكنها كلها تحترم خصائصهم النفسية .

3 – تعمل الدافعية كتوجه عام لدى الفرد وفي هذا الصدد هناك من يميز بين التوجه الثابت ، و التوجه الدينامي ، كما أن هناك من يميز بين توجه الفعل و توجه الحالة ، حيث يكون توجه الفرد ديناميا في حالة وجود ضغوط من البيئة(عبد اللطيف خليفة ، 2000،ص76).

وهذا معناه أن ردود أفعالنا تختلف حسب الوضعية التي نكون بها أي وضعية تتسم في مجملها بالضغط أو التركيز و الهدوء

4 – يتفاوت الأفراد في مستويات الدافعية ذلك أن الدافعية تتأثر بجملة من العوامل منها الداخلية مثل الاهتمامات و القيم ، و منها الخارجية و هي البيئة التي يعيش فيها الرد ، و عليه فإن خبرة الفرد و السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه يحددان مدى تعبئته لطاقته في اتجاه أو آخر (محي الدين حسين ،1988 ،ص 07).

و هذا معناه أننا إذا رغبنا في التغير أو التغيير ، علينا أن نتعرف أولا على ذلك المخزون الهام من القيم و الاهتمامات الشخصية و أيضا على السياق الاجتماعي الذي تربا فيه كل واحد منا ، فالتغيير ينبغي أن ينطلق من معرفتنا بهذا الزخم و من خلاله .

5 – في ضوء تصور البعض للدافعية العامة بأنها تعني حاجة الفرد للتغلب على العقبات و مواجهة التحديات الصعبة ، فإن الفرد يمكنه أن يغير مسار الهدف ، فيسلك طريقا آخر إذا شعر أن الطريق الذي يسلكه لا يوصله إلى الهدف (محي الدين توق و آخرون،2002 ،ص233).

وهذا معناه أن نوعية أهدافنا و ووعينا بتلك الأهداف يلعب دورا أساسيا في تكوين دافعيتنا و تقويتها .

6 – في ضوء ما سبق فإن مفهوم الدافعية يشتمل على شقين أساسين حيث يمثل الأول النشاط العام ، أما الثاني فهو استقطاب هذا النشاط العام في اتجاه بعينه ، بحيث يتم توظيفه هذا النشاط لخدمة هدف بذاته (محي الدين حسين ، 1977 ،ص8).

7 – بينت الدراسات أن من أهم مظاهر الدافعية العامة الشعور بأهمية الوقت و التفاني في العمل و السعي نحو الكفاءة في تأدية المهام التي توكل إلى الشخص و الرغبة المستمرة في الإنجاز (محي الدين حسين ، 1977 ،ص 22)

و أيضا المثابرة و الاستمرار في العمل لفترات طويلة و محاولة التغلب على العقبات التي تواجه الفرد و ذلك بهدف تحقيق الأداء من الكفاءة (عبد اللطيف خليفة ، 2000 ،ص 77)، و هذه المظاهر كلها عبارة عن مؤشرات للدافعية للإنجاز التي تعد بهذا بعدا أساسيا لدى الأفراد ذوي الدافعية العالية .

و هذا معناه أن احترام قيمة الوقت و الحياة ، التفاني في العمل و الدراسة من أجل تحقيق هدف بعينه ، و النهوض في كل مرة و بعد كل فشل ، كل هذه المعاني الرائعة التي تميز في الغالب الناجحين و العظماء من غيرهم هو : الدافعية .

لذلك يصير لزاما على المهتمين بقطاعات التربية بشكل عام ، و المهتمين بمآل حياتهم بشكل خاص الاهتمام بهذا المفهوم المهم و الخطير في الوقت نفسه ، ذلك أنه يمكن لدوافعنا أن تأخذنا للقمة ، كما يمكنها أيضا أن تهوي بنا إلى المنحدر ، الذي هو بكل تأكيد أقل من قدراتنا الحقيقية .....الهائلة .

خلاصة :

مما سبق يتضح أن الدافعية لا تعني فقط باستثارة السلوك و تنشيطه و حسب ، بل إنها تمتد لتوجه هذا السلوك نحو الوجهة الملائمة لإشباع الدافع .

و في هذا الإطار يمكننا فهم الدافعية وفق تعريف هب (1955) على أنها : " مصطلح يشير إلى تحريك السلوك و تنشيطه وخاصة إلى مصادر الطاقة في مجموعة معينة من الاستجابات التي تجعلها سائدة بالنسبة لغيرها من الاستجابات فترة من الوقت و مسؤولة عن استمرارية السلوك و تحديد وجهته "(إبراهيم قشقوش و طلعت منصور ، 1979 ،ص 09).

قائمة المراجع :

1 – عبد اللطيف محمد خليفة : الدافعية للإنجاز ، دون طبعة ، دار غريب ، القاهرة، 2000

2 محي الدين أحمد حسين : دراسات في الدافعية و الدوافع، دون طبعة ، دار المعارف القاهرة ،1988

3– محي الدين أحمد حسين: الدافعية للإنجاز عند الجنسين ، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دون عدد ، دون سنة

4 محي الدين توق و آخرون: علم النفس التربوي، عمان ، الأردن ، 2002

5 إبراهيم قشقوش و طلعت منصور: دافعية الإنجاز و قياسها، الطبعة الأولى، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1979